الجنيد بن الجنيد

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[14]

الجنيد بن الجنيد

الجنيد بن محمد بن الجنيد

أصله ومنشأه ومولده:

أصله من نهاوند، إلا مولده ومنشأه بغداد.

كنيته:

يكنى: أبا القاسم.

كان أبوه يبيع الزجاج.

وكان أبو القاسم الخزاز القواريري خزازًا.

كان شيخ وقته وفريد عصره، تفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي.

وقيل:

بل كان فقيهًا على مذهب سفيان الثوري.

صحب خاله السري السقطي، والحارث المحاسبي، وغيرهما من جلَّة المشايخ والفقهاء.

كيف الطريق إلى الله؟

سأل رجل الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- كيف الطريق إلى الله؟

قال أبو القاسم:

- توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزعج - يقلقه وبقلعه من مكانه - إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله عز وجل في خواطر القلوب.

ألا خرجت مع الخاطر الأول؟

قال خير:

كنت يومًا جالسًا في بيتى، فخطر لي خاطر أن أبا القاسم جنيدًا بالباب اخرج إليه.

فنفيت ذلك الخاطر عن قلبي وقلت:

- وسوسة.

فوقع لي خاطر ثان يقتضي مني الخروج.

إن الجنيد على الباب فاخرج إليه.

فنفيت ذلك عن سري.

فوقع لي خاطر ثالث، فعلمت أنه حق وليس بوسوسة.

ففتحت الباب، فإذا أنا بالْجُنَيدِ قائم، فسلم عليَّ، وقال:

- يا خير: ألا خرجت مع الخاطر الأول؟

الأيام:

قال أبو العباس بن مسروق:

مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد، وإذا مغنٍّ يغني:

منازل كنت تهواها وتألفها ⁝ أيام كنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاءً شديدًا.

ثم قال:

- يا أبا العباس: ما أطيب منازل الألفة والأنس، وأوحش مقامات المخالفات، لا أزال أحن إلى بدو إرادتي وجدة سعيى.

تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد؟

قال أبو عمرو بن علوان:

خرجت يومًا إلى سوق الرحبة - مكان بالشام - في حاجة، فرأيت جنازة فتبعتها لأصلِّي عليها.

ووقفت حتى يدفن الميت، فوقعت عيني على امرأة مسفرة - سفرت المرأة: كشفت عن وجهها فهي سافرة - من غير تعمد، فألححت بالنظر.

واسترجعت - قلت: إنا لله وإنَّا إليه راجعون - واستغفرت الله تعالى.

وعدت إلى منزلي فقالت لي عجوز:

- يا سيدي: ما لي أرى وجهك أسود؟

فأخذت المرآة فنظرت فإذا وجهي أسود.

فرجعت إلى سري أنظر من أين دهيت؟ فذكرت النظرة إلى المرأة المسفرة وإلحاحي بالنظر.

فانفردت في موضع أستغفر الله غفَّار الذنوب وأسأله الإقالة أربعين يومًا.

فخطر في قلبي أن أزور شيخ الجنيد.

فانحدرت إلى بغداد، فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب فقال لي:

- ادخل يا أبا عمرو.

فلما دخلت نظر إليَّ وتبسم وقال:

- تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد؟

الحنظلة:

قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

دخلت البادية بعقد التوكل في وسط السنة، فمضت عليَّ أيام فانتهيت إلى مجمع ماء وخضرة، فتوضأت وملأت ركوتي وقمت أركع، فإذا بشاب قد أقبل بزي التجار كأنه غدا من بيته إلى سوقه أو يرجع من سوقه إلى بيته، فسلم عليَّ فقلت:

- الشاب من أين؟

فقال الشاب:

- من بغداد.

فقلت:

- متى خرجت من بغداد؟

قال الشاب:

- أمس.

فتعجب منه، وكنت قد مضت عليَّ أيام حتى بلغت إلى ذلك الموضع.

وجلس يكلمني وأكلمه، فأخرج شيئًا من كمه يأكله.

فقلت له:

- أطعمني مما تأكل.

فوضع في يدي حنظلة - ثمرة نبات صحراوي معروف بالمرارة -.

فأكلتها فوجدت طعمها كالرطب.

فلما دخلت مكة وبدأت بالطواف أحسست بيد تجذب ثوبي من ورائي، فالتفت فإذا أنا بشاب كالشن البالي - كالقربة القديمة - عليه قطعة عباء وعلى عاتقه بعضه.

فقلت له:

- زدني معرفة.

فقال:

- أنا الشاب الذي أطعمك الحنظلة.

فقلت له:

- ما شأنك؟

فقال الشاب:

- يا أبا القاسم: ذرؤنا - ذرأ: خلق - حتى إذا أوقعنا قالوا: استمسك.

خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار:

قال أبو القاسم:

حججت على الوحدة - أي: منفردًا بنفسه - فجاورت بمكة، فكنت إذا جنَّ - ستر - الليل، دخلت الطواف، فإذا أنا بجارية تطوف وتقول:

أبي الحب أن يخفى وكم قد كتمته ... فأصبح عندي قد أناخ وطنبا

إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ... وإن رمت قربًا من حبيبي تقربا

ويبدو فأَفْنَى ثم أحيا به له ... ويسعدني حتى ألذ وأطربا

طنب بالمكان: أقام.

فقلت لها:

- يا جارية: أما تتقين الله تعالى؟ في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام؟

فالتفتت إليَّ وقالت:

- يا جنيد:

لولا التقى لم ترني أهجر طيب الوَسنِ
إن التقى شرَّدَنِي كما ترى عن وطنَي
أفر من وجدي به فحبه هيَّمَني

ثم قالت:

- يا جنيد: تطوف بالبيت أم برب البيت؟

فقلت:

- أطوف بالبيت.

فرفعت رأسها إلى السماء وقالت:

- سبحانك! ما أعظم مشيئتك في خلقك! خَلْقٌ كالأحجار يطوفون بالأحجار.

ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة إليك وهم أقسى قلوبًا من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم وخلوا محل القرب في باطن الفكر
فلو أخلصوا في الود غابت صفاتهم وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد:

فغشي عليَّ من قولها.

فلما أفقتُ، لم أرها.

الأرض لا تخلو من أولياء الله:

كتب الجنيد بن محمد بن الجنيد إلى بعض إخوانه كتابًا يقول فيه:

إن الله جل ثناؤه لا يخلي الأرض من أوليائه، ولا يعريها من أحبائه، ليحفظ بهم من جعلهم سببًا لحفظه، ويحفظ بهم من جعلهم سببًا لكونه.

وأنا أسأل المنان بفضله وطَوْلِه أن يجعلنا من الأمناء على سرّه، الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره، تجميلاً منه لنا بأعظم الرتب، وإشرافًا بنا على كل ظاهر ومحتجب، وقد رأيت الله تعالى تقدست أسماؤه زيَّن بسيط أرضه وفسيح سعة ملكه بأوليائه وأُولي العلم به وجعلهم أبهج لامع سطع نوره، وعن قلوب العارفين ظهوره، وهم أحسن زينة من السماء البهجة بيضاء نجومها، ونور شمسها وقمرها.

أولئك أعلام لمناهج سبيل هدايته، ومسالك طرق القاصدين إلى طاعته، ومنار نور على مدارج الساعين إلى موافقته، وهم أبين في منافع الخليقة أثرًا، وأوضح في دفاع المضار على البرية خيرًا من النجوم التي بها ظلمات البر والبحر يُهْتَدَى، وبآثارها عند ملتبس المسالك يُقْتَدَى؛ لأن دلالات النجوم تكون بها تجاه الأموال والأبدان، ودلالات العلماء بها تكون سلامة الأديان، وشتان بين من يفوز بسلامة دينه ومن يفوز بسلامة دنياه وبدنه.

السبحة:

رئى يومًا في يد الجنيد بن محمد بن الجنيد سبحة فقيل له:

- يا أبا القاسم: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة؟

فقال الجنيد:

- طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه.

أبيات سمعتها:

يقول الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- ما انتفعت بشيء انتفاعتي بأبيات سمعتها.

فقيل له:

- ما هي؟

قال أبو القاسم:

- مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغنى من دار فأنصَتُّ لها.

فسمعتها تقول:

إذا قلت أهدى الهجر لي حُلَل البلى ⋮ تقولين لولا الهجر لم يطب الحبُّ

وإن قلتُ هذا القلبُ أحْرَقه الهوى ⋮ تقولي بنيران الهوى شَرُفَ القلبُ

وإن قلت ما أذنبتُ قلت مجيبةٌ ⋮ حياتُكَ ذنبٌ لا يُقاسُ به ذنبُ

فصعقت وصحت.

وبينما أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج فقال:

- ما هذا يا سيدي؟

فقلت له:

- مما سمعت.

فقال صاحب الدار:

- أشهدك أنها هبة مني لك.

فقلت:

- قد قبلتها وهي حرة لوجه الله تعالى.

ثم زوجتها لبعض أصحابنا بالرباط، فولدت له ولدًا نبيلاً، نشأ أحْسن نشوء وحج على قدميه ثلاثين حجة.

أسلم فقد حان وقت إسلامك:

يقول أبو القاسم:

قال لي خالي سري السقطي:

تكلم على الناس.

وكان في قلبي حشمة من الناس، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاقي ذلك.

فرأيت ليلة رسول الله ﷺ، وكانت ليلة جمعة فقال لي:

- تكلم على الناس.

فانتبهت، وأتيت باب السري قبل أن أصبح، فدققت الباب فقال لي:

- لم تصدقنا حتى قيل لك - لم تكلم الناس حتى قال لك رسول الله ﷺ في الرؤيا -.

فقعدت في غد الناس للناس بالجامع.

وانتشر الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس.

فوقف عَلَيَّ غلام نصراني متنكرًا وقال:

- يا شيخ: ما معنى قول رسول الله ﷺ : **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟** .

فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت:

- أسلم فقد حان وقت إسلامك.

فأسلم الغلام النصراني.

صف لي دواء:

خرج الجنيد بن محمد بن الجنيد يومًا إلى الحج، فتحولت الناقة إلى طريق القسطنطينية مدينة الروم، فرد الجنيد ناقته نحو أم القرى ولكن الناقة تحولت نحو القسطنطينية مرة أخرى، فتركها الجنيد.

فلما دخل الجنيد مدينة القسطنطينية، وجد أهلها في قيل وقال. فسأل عن ذلك، فقيل له:

- إن ابنة الملك أصابها جنون وهم يطلبون طبيبًا.

فقال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- أنا أداويها.

فأدخلوه عليها، فنادت ابنة الملك من داخل الباب:

- يا جنيد: لِمَ تجذبك الناقة إلينا فتردها عنا؟

فلما رأى الجنيد ابن الملك، فإذا هي من أحسن النساء والقيد في عنقها ورجليها.

قالت ابنة الملك:

- صف لي دواء؟

فقال الجنيد بن محمد بن الجنيد لها:

- قولي: لا إله إلا الله.

فقالت بصوت مرفتع:

- لا إله إلا الله.

فسقط الغل من عنقها ورجليها.

فقال الملك للجنيد:

- ما أحسنك من طبيب فداوني.

فقال الجنيد بن محمد للملك:

- قل: لا إله إلا الله.

فنطق أبو الفتاة بشهادة الحق... وأسلم وأسلم معه خلق كثير.

هل قامت القيامة؟

وقال أبو القاسم:

كان أحد الصالحين يزور المقابر فأدركه النوم ذات ليلة، فرأى الأموات على قبورهم فسألهم:

- هل قامت القيامة؟

قالوا:

- لا ولكن مر علينا ثابت البناني منذ عشرين سنة فقرأ: {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾} [سورة الإخلاص الآيات: ١ - ٤]، ثلاثين مرة وجعل ثوابها لنا فنحن نتقاسمها من ذلك اليوم فما استوفينا بعد.

سأل أحمد بن جعفر بن هانئ الجنيدَ:

- يا أبا القاسم: متى يكون الرجل موصوفًا بالعقل؟

قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

إذا كان للأمور مميزًا، ولها متصفحًا، وعما يوجبه عليه العقل باحثًا: يبحث يلتمس بذلك طلب الذي هو به أولى، ليعمل به ويؤثره على ما سواه، فإذا كان كذلك فمن وصفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه.

وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير، فمن كانت هذه صفته بعد إحكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي، وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا.

وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل، ويسير حائل، يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتصل بقاؤها.

وذلك أن الذي يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك مفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عز وجل عليه.

فكذلك صفة العاقل لتصفحه الأمور بعقله، والأخذ منها بأوفره، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾} [سورة الزمر الآية: ١٨].

كذلك وصفهم الله عز وجل، وذو الألباب ذوو العقول، إنَّما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله تبارك وتعالى به للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها وأحسن الأمور وهو أفضلها وأبقاها على أهلها نفعًا في العاجل والآجل.

وإلى ذلك ندب الله عز وجل من عقل كتابه.

أنا فلان الجني:

قال الجنيد:

رأيت بعد أن أديت وردي ووضعت جنبي لأنام كأن هاتفًا يهتف بي:

- إن شخصًا ينتظرك في المسجد.

فخرجت فإذا شخص واقف في سواء المسجد فقال لي:

- يا أبا القاسم: متى تصير النفس داؤها ودواءها؟

قلت:

- إذا خالفت هواها صار داؤها دواءها.

قال:

قلت هذا لنفسي، فقالت: لا أقبل منك حتى تسأل عنه الجنيد.

فقلت:

- من أنت؟

قال:

- أنا فلان الجني، وقد جئت إليك من المغرب.

من دعاء الجنيد:

كان أبو القاسم يدعو بهذا الدعاء.

اللهم إني أسألك منك ما هو لك، وأستعيذك من كل أمر يسخطك.

اللهم إني أسألك من صفاء الصفاء، صفاء أنال به منك شرف العطاء.

اللهم ولا تشغلني شغل من شغله عنك ما أراد منك إلا أن يكون لك.

اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذاكر منك إلا ما هو لك.

اللهم اجعل غاية قصدي إليك ما أطلبه منك.

اللهم املأ قلبي بك فرحًا ولساني لك ذكرًا وجوارحي فيما يرضيك شغلاً.

اللهم امح عن قلبي كل ذكر إلا ذكرك، وكل حب إلا حبك، وكل ود إلا ودك، وكل إجلال إلا إجلالك، وكل تعظيم إلا تعظيمك، وكل رجاء إلا إليك، وكل خوف إلا منك، وكل رغبة إلا إليك، وكل رهبة إلا لك، وكل سؤال إلا منك.

اللهم اجعلني ممن يقصد إليك قصد من لا رجوع له إلا إليك.

اللهم اجعل رضائي بحكمك فيما ابتليتني في كل وقت متصلاً غير منفصل، واجعل صبري لك على طاعتك صبر من ليس له عن الصبر صبر إلا القيام بالصبر بقوة العصمة منك له.

اللهم واجعلني ممن يستعين بك استعانة من استغنى بقوتك عن جميع خلقك.

اللهم واجعلني ممن يلجأ إليك لجوء من لا ملجأ له إلا إليك، واجعلني ممن يتعزى بعزائك ويصبر لقضائك أبدًا ما أبقيتني.

اللهم وكل سؤال سألته فعن أمر منك لي بالسؤال، فاجعل سؤالي لك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك.

إلـهي:

ليس في أفق سماواتك ولا في قرار أرضك في فسحات أقاليمها من يحب أن يحمد غيرك؛ إذ أنت منشئ المنشآت لا نعرف شيئًا إلا منك وكيف لا تعرفك الأشياء ولم يقر الخلق إلا لك وبدؤه منك وأمره إليك وعلانيته وسره محصي في إرادتك؟ فأنت المعطي والمانع وقضاؤك الضار والنافع، وحلمك يمهل خلقك وقضاؤك يمحو ما تشاء من قدرك.

إلـهي:

كيف أنظر إن نظرت إلا إلى رحمتك، وإن غضضت فعلى نعمك، فمن فضلك جعلت حكمك يحتمل على عطفك ومن فضلك جعلت نعمك تعم جميع خلقك.

فهب لي من لدنك - من عندك - ما لا يملك غيرك مما تعلمه يا وهَّاب يا فعَّال لما يريد.

واجعلني من خاصة أوليائك يا خير مدعو وأكرم راحم إنك أنت على كل شيء قدير.

الجنيد وأحاديث طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

أسند الجنيد الحديث عن الحسن بن عرفة.

* قال أحمد بن علي بن ثابت عن أبي سعيد الماليني عن أبي القاسم عمر بن محمد بن مقبل عن أبي جعفر الخلدي، عن الجنيد بن محمد، عن حسن بن عرفة، عن محمد بن كثير الكوفي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ :

اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .

ثم قرأ: { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ } [سورة الحجر الآية: ٧٥].

المتوسمين: المفرسِين، المتأملين (أخرجه الترمذي في التفسير، وأخرجه البخاري في التاريخ، والطبراني في المعجم الكبير، وابن عدي في الكامل).

ولا يعرف للجنيد غير هذا الحديث.

وقيل:

روى عن ابن مسعود أنه قال:

كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعَيْطٍ وذكر الحديث، وقال في آخره:

قال لي النبي ﷺ :

إنك غلام معلم .

من أقوال الجنيد بن محمد الجنيد:

كان أبو القاسم يقول:

* معاشر الفقراء: إنَّما عُرفتهم بالله وتُكرمون له، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه؟

* علامة إعراض الله عز وجل عن العبد - إعراض العبد عن الله - أن يشغله بما لا يعنيه.

* الطريق إلى الله عز وجل مسدود على خلق الله عز وجل، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ، والتابعين لسنته، كما قال الله عز وجل: { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [سورة الأحزاب الآية: ٢١].

* لقد مشى رجال باليقين على الماء، ومات رجال بالعطش أفضل منهم يقينًا.

* فتح كل باب وكل علم نفيس، بذل المجهود.

* لولا أنه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت إليكم.

* أضر ما على أهل الديانات الدعاوى.

* احذر أن تكون ثناءً منشورًا وعيبًا مستورًا.

* المروءة احتمال زلل الإخوان.

* الإنسان يتسع على ما يرد على العالم، لأني قد أصلت أصلاً وهو: أن الدار دار غم وهمّ وبلاء وفتنة، وأن العالم كله شر، ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره، فإن تلقاني بما أحب فهو فضل، وإلا فالأصل الأول.

* كان يعارضني في بعض أوقاتي أن أجعل نفسي كيوسف - عليه السلام - وأكون أنا كيعقوب - عليه السلام - فأحزن على ما فقدت من نفسي كما حزن يعقوب - عليه السلام - على فقد يوسف - عليه السلام - فمكثت مدة أعمل على حسب ذلك.

* لو أقبل صادقًا على الله عز وجل ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله.

* قال رجل لأبي القاسم:

- علام يتأسَّف المحب؟

قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- على زمان بسط أو رث قبضًا أو زمان أنس أورث وحشة.

وأنشأ يقول:

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم :: فكدرته يد الأيام حين صفا

* يا فتى:

الزم العلم ولو ورد عليك من الأحوال ما ورد ويكون العلم مصحوبك، فالأحوال تندرج فيك وتنفد؛ لأن الله عز وجل يقول: {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا} [سورة آل عمران الآية: ٧].

* العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك.

* ما من شيء أسقط للعلماء من عين الله من مساكنة الطمع مع العلم في قلوبهم.

* قيل للجنيد:

- ما القناعة؟

قال أبو القاسم:

- ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك؟

* إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيء بالمحسن.

قيل:

- متى تبدو؟

قال الجنيد:

هي بادية، قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي.

* من ظن أنه يصل ببذل المجهود فمتعن، ومن ظن أنه يصل بغير بذلك المجهود فمتعن، ومتعلم يتعلم الحقيقة يوصله الله إلى الهداية قال رسول الله ﷺ :

كل ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له .

* لا تيأس من نفسك وأنت تشفق من ذنبك، وتندم عليك بعد فعلك.

* كان التوكل حقيقة واليوم هو علم.

* منذ عشرين سنة ما نصابت أحدًا إلى حق فعاد إليَّ.

* إذا أصبت من يصبر على الحق فتمسك به.

قيل:

- أنى به؟

قال أبو القاسم:

- هات لي من يصبر على سماع الحق لا يتعرض إليه.

* لو بدت عين الكرم لألحقت المسيئين بالمحسنين، وبقيت أعمال العاملين فضلاً لهم.

* عليكم بحفظ الهمة فإن حفظ الهمة مقدمة الأشياء.

* سأل أصحاب الجنيد أبا القاسم يومًا:

- يا أستاذ: متى يكون الله عز وجل مقبلاً على عبده؟

فلهى عنهم ولم يجبهم فألحُّوا عليه فقال:

- واعجباه! يقف بين يدي ربه بلا حضور ويقتضي بهذه الوقفة إقبالاً؟!

* وسُئِلَ الجنيد عن حقيقة الشكر فقال:

- ألا يُستعان بشيء من نعمه على معاصيه؟

* الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب.

تحمل عظيم الجرم ممن تحبه ⁝ وكنت مظلومًا فقل أنا ظالم

* لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك.

* وقال الجنيد:

أناس أمناهم فنسوا حديثنا ... فلما كتمنا السر عنهم تقولوا
ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا ... ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا

* متى أردت أن تشرف بالعلم وتنسب إليه بالعلم وتكون من أهله قبل أن تعطي العلم ما له عليك احتجب عنك نوره وبقى عليه وسمه وظهوره، ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أن العلم يشير إلى استعماله وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته.

* قال الجنيد:

هل من سبيل إلى حبيب ... أوقفني موقف العبيد
والله والله لو بدأني ... بكل ضر من الصدود
ما كان من هواه بد ... ولو تقطعت بالوجود

يا من هو كل يوم في شأن: اجعلني من بعض شأنك.

* سأل سائلٌ أبا القاسم:

العناية قبل أم البداية؟

قال الجنيد:

- العناية قبل الطين والماء.

* المريد الصادق غنيٌّ عن علوم العلماء يعمل على بيان يرى وجه الحق من وجوه الحق ويتوقى وجوه الشر من وجوه الشر.

* اعتللت - مرضت - بمكة فقوى على فيها الوجود حتى لم أقدر أن أقول سبحان الله والحمد لله.

* مكثت مدة طويلة لا يقدم أحد البلد من الفقراء إلا سلبت حالي ودفعت إلى حاله فأطلبه حتى إذا وجدته تكلمت بحاله وكنت إلا أرى في النوم شيئًا إلا رأيته في اليقظة.

* البلاء على ثلاثة أوجه:

على المخلصين عقوبات.

وعلى الصادقين تمحيص جنايات.

وعلى الأنبياء من صدق الاختيارات.

* قيل للجنيد:

- يا أبا القاسم: ما نراك تتحرك.

قال أبو القاسم:

-{وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ} [سورة النمل الآية: ٨٨].

* أعلى درجة الكبر وشرها: أن ترى نفسك ودونها وأدناها في الشر أن تخطر ببالك.

* وسُئِلَ الجنيد عن الدنيا:

- ما هي؟

قال أبو القاسم:

- ما دنا - اقترب - من القلب وشغل عن الله.

* لا تكون عبدًا لله بالكلية حتى لا يبقى عليك من غير الله بقية.

* لا تكن عبد الله حقًا وأنت لشيء سواه مُسْترقًا.

* وسُئِلَ الجنيد:

- أيما أتم استغراق العلم في الوجود أو استغراق الوجود في العلم؟

فقال أبو القاسم:

- استراق العلم في الوجود ليس العالمون بالله كالواجدين له.

* الأقوات ثلاثة:

فقوت بالطعام وهو مولِّدٌ للأغراض.

وقوت بالذكر فهذا يشممهم الصفات.

وقوت برؤية المذكور وهو الذي يفنى ويبيد.

ثم أنشد:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها :: فلم تلبث النفس التي آنت قوتها

* ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات المستحسنات؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله عز وجل، وأصله: العزوف عن الدنيا كما قال حارثة - صحابي جليل سأله خاتم النبيين ﷺ يومًا: كيف أصبحت؟ فقال -:

- عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري.

* إن الله عز وجل يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك؟

* يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه.

ويا بادئ العارفين بما به عرفوه.

ويا موفق العاملين لصالح ما عملوه.

من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك؟

ومن ذا الذي ذكرك إلا بفضلك.

* وسُئِلَ الجنيد عن المحبة:

- أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال؟

فقال أبو القاسم:

- إن محبة الله لها تأثير في محبوبه بين، فالمحبة نفسها من صفات الذات، ولم يزل الله تعالى محبًا لأوليائه وأصفيائه.

فأما تأثيرها فيمن أثرت فيه ذلك من صفات الأفعال، فاعلم أرشدك الله للصواب.

* اعلم أنه إذا عظمت فيك المعرفة بالله وامتلأ من ذلك قلبك وانشرح بالانقطاع إليه صدرك وصفا لذكره فؤادك، واتصل بالله فهمك ذهبت آثارك وامتحيت رسومك واستضاءت بالله علومك، فعند ذلك يبدو لك علم الحق.

* التوبة على ثلاثة أركان:

الندم على ما فات.

والعزم على ترك المعاودة.

والسعي فلا تلافي ما يمكن تلافيه من حقوق الله تعالى المفروضة وحقوق الناس.

فإن لم يكن فالعزم على الوفاء والدعاء للخصوم.

* **الزهد:** خلو القلب عما خلت منه اليد.

* أشرف كلمة في التوحيد: ما قاله أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: لم يجعل للخلق طريقًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

* وجاءت جماعة فدخلوا على أبي القاسم، فقال لهم:

- لماذا جئتم؟

قالوا:

- جئنا نطلب الرزق.

قال الجنيد:

- إن علمتم في أي مكان هو فاطلبوه.

قالوا:

- نسأل الله.

قال أبو القاسم:

- إن علمتم أنه ينساكم فذكِّرُوه.

قالوا:

- نجلس في البيت ونتوكل على الله وننتظر ما يكون.

قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- التوكل على التجربة شك.

قالوا:

- وما الحيلة؟

قال أبو القاسم:

- ترك الحيلة...؛ أي:

على المرء أن يسعى ∴ وليس عليه إدراك النجاح

الجنيد بن محمد بن الجنيد والقرآن العظيم:

قال محمد بن الحسين:

كنت عند الجنيد حين مات فختم القرآن ثم ابتدأ بسورة البقرة فقرأ سبعين آية.

وقف أبو عبد الله المغربي على الجنيد وسأله عن قوله: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦} [سورة الأعلى الآية: ٦].

قال أبو القاسم:

سنقرئك التلاوة فلا تنس العمل.

وسُئِلَ عن قوله:{وَدَرَسُواْ مَافِيهِ} [سورة الأعراف الآية: ١٦٩].

فقال الجنيد:

- تركوا العمل بما فيه.

وحضر الجنيد يومًا موضعًا فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق فقيل له:

- يا أبا القاسم: ما نراك تتحرك؟

فقال الجنيد بن محمد:

-{وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ} [سورة النمل الآية: ٨٨].

وسأل رجلٌ أبا القاسم عن قوله: {لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ} [سورة الأنعام الآية: ٧٦].

قال الجنيد:

- لا أحب من أن تغيب عن عيناي وعن قلبي، وفي هذا دلالة أني إنَّما أحب من يدوم لي النظر إليه والعلم به حتى يكون ذلك موجودًا غير مفقود، وكذل رأينا أن أشد الأشياء على المحبين أن يغيب عنهم من أحبوه، وأن يفقدوا شاهدهم.

وسأل الحريري أبا القاسم عن قول عيسى ابن مريم - عليه السلام -: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [سورة المائدة الآية: ١١٦].

قال أبو القاسم:

- هو والله أعلم تعلم ما أنا لك عليه وما لك عندي ولا أعلم مالي عندك إلا ما أخبرتني به وأطلعتني عليه.

فهذا معناه.

وسئل الجنيد عن قوله: {وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} [سورة المنافقون الآية: ٧].

وسأل رجلٌ أبا القاسم عن قوله: {وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥} [سورة البقرة الآية: ٣٥].

قال الجنيد:

حسنات الأبرار سيئات المقربين فهم - صلوات الله وسلامه عليهم - وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يُخِلّ ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكَّاهم واصطفاهم - صلوات الله عليهم وسلامه -.

وكان الجنيد إذا قرأ: {ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ} [سورة البقرة الآية: ٥٢].

عفا العفو الرحيم عن بني إسرائيل بعد عبادتهم العجل وتجاوز عنهم.

يقول الجنيد:

كنت بين يدي السري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي:

- يا غلام: ما الشكر؟

قلت:

- ألا يعصى الله بنعمه.

فقال لي:

- أخشى أن يكون حظك من الله لسانك.

قال الجنيد:

فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري لي.

وسُئِلَ أبو القاسم عن قوله: { قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ } [سورة البقرة الآية: ١٣٩].

قال الجنيد:

الإخلاص سرٌّ بين العبد وبين الله عز وجل، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيمليه.

وكان الجنيد إذا قرأ: {وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [سورة المنافقون الآية: ٧].

قال:

خزائن السماوات: الغيوب.

وخزائن الأرض: القلوب.

فهو علاَّم الغيوب، ومقلِّب القلوب.

وسأل رجلٌ أبا القاسم عن قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا} [سورة التحريم الآية: ٨].

قال الجنيد:

التوبة النصوح : هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبدًا؛ لأن من صحَّت تبوته صار محبًا لله، ومن أحب الله نسي ما دون الله.

وكان الجنيد إذا قرأ: { إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ } [سورة الشعراء الآية: ٨٩].

قال:

خص القلب بالذكر؛ لأنه الذي إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح.

القلب السليم : السليم في اللغة: اللديغ، فمعناه: قلب كاللديغ من خوف الله.

وقيل:

القلب السليم: هو القلب الخالي من البدعة المطمئن إلى السنَّة.

وقيل:

القلب السلم: هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن.

وقيل:

هو القلب السليم الخالص.

وقيل:

القلب السليم: الخالي من النفاق.

وكان الجنيد إذا قرأ:{هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥} [سورة المرسلات الآية: ٣٥].

قال:

أي: عذر لمن أعرض عن منعمه وجحده وكفر أياديه ونعمه؟

لا ينطقون: لا يتكلمون ولا يُؤْذَنُ لهم في الاعتذار والتنصّل.

وسُئِلَ الجنيد عن قوله:{فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧} [سورة الشرح الآية: ٧].

قال:

قال ابن عباس:

فإذا فرغت من صلاتك فانصب؛ أي: بالغ في الدعاء وسله حاجتك.

وقال ابن مسعود:

- إذا فرغت من الفرائض، فانصب في قيام الليل.

وقال أبو القاسم:

- إذا فرغت من أمر الخلق، فاجتهد في عبادة الحق.

قالوا عن الجنيد:

* قال الخلدي:

بلغني عن الجنيد: أنه كان في سوقه، وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة.

وقال أيضًا:

كان الجنيد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع، ويصلي كل يوم أربعمائة ركعة.

وقال أيضًا:

لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال، غير أبي القاسم الجنيد ولا أكثرهم كان يكون له علم كثير ولا يكون له حال.

وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير، والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير، فإذا رأيت حاله رجحته على علمه، وإذا رأيت علمه رجحته على حاله.

* قال إسماعيل بن نجيد:

كان الجنيد يجيء كل يوم السوق فيفتح حانوته - دكانه - فيدخل ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يرجع إلي بيته.

وفاة الجنيد بن محمد بن الجنيد:

كان أبو محمد الحريري واقفًا على رأس الجنيد وقت وفاته، وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن - قد ختم القرآن الكريم ثم ابتدأ في سورة البقرة فقرأ سبعين آية -.

فقال:

- يا أبا القاسم:

فقال الجنيد:

- يا أبا محمد: ما رأيت أحدًا أحوج إليه مني في هذا الوقت وهو ذا تطوي صحيفتي؟

وقال أبو محمد الحريري:

حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين فلم يزل باكيًا وساجدًا فقلت:

- يا أبا القاسم: قد بلغ بك ما أرى من الجهد.

فقال:

يا أبا محمد: أحوج ما كنت إليه هذه الساعة.

فلم يزل باكيًا وساجدًا حتى فارق الدنيا.

وتوفي يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين، ودُفِنَ عند خاله السري السقطي.

وقيل:

سنة سبع وتسعين.

وغسله أبو محمد الحريري وصلى عليه ولده.

وحرزوا - حصروا وعدوا - الجمع الذي صلى على الجنيد بن محمد بن الجنيد فكانوا نحو ستين ألفًا.

* رؤية أبي القاسم في المنام.

قال جعفر الخلدي في كتابه:

رأيت الجنيد في النوم فقلت له:

- ما فعل الله بك؟

قال:

- طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في السحر.

* * *